# الفصل الثاني

# في حقول الفرولة

# في حقول الفراولة

قبل بزوغ ضوء الشمس بقليل يظهر عمال المزرعة في شوارع بلدة جوادلوب بولاية كاليفورنيا يخرجون من بيوت صغيرة وحظائر وبدرومات وجراجات حيث قضوا ليلهم الرجال يلبسون قبعات القش التي يلبسها رعاة البقر أو كابات لاعبي البسبول وسترات قصيرة من الجلد . في ذلك الصباح البارد واحذية من القماش وملابس عمل رثه أما النساء فيرتدين وشاحاً وغطاء للرأس يلفونه حول أعناقهن بحيث لايبدو من وجوههن سوي أعينهن ويمكن رؤيتهن من مسافة بعيدة في ملابسهن البراقة . وبعد قليل سوف يأتي طابور طويل من الحافلات التي تقف علي جانبي الطريق السريع رقم ١ بإنتظار الركاب وهذا المشهد لا يشبه نظيره علي الطريق السريع رقم ١ الذي يمر بمحاذاة المحيط الهادي لكنه شيء آخر فهو يمتد أربعة أميال إلي الداخل بالقرب من وادي سانتا ماريا في منتصف المسافة بين لوس أنجلوس وساليناس هنا يحاذي الطريق رقم ١ بلدة جوادلوب إذ يوجد علي طوله محلات البوب والمطاعم المكسيكية والحانات والبارات وعلي مقربة منها توجد طوابير من الدراجات القديمة والشاحنات الصغيرة واتوبيسات المدارس العتيقة تجر مراحيض متنقلة وقاطرات الشاحنات تسير نحو الحقول المجاورة وعمال يسيرون علي جانبي الطريق ترسم ظلالهم علي الطريق أضواء الشاحنات. شابان يستقلان دراجة وهما كالكثيرين قضو ليلتهم في العراء . وعندما تسطع الشمس من خلف الساحل يتجمع ثلاثون حشداً من العمال بمحاذاة الحقول الشاسعة ويبدأون في جني الفراولة يشقون طريقهم ببطء بجوار القنوات والبتون. مئات من النساء والرجال يمشون منحنين حتى خواصرهم يجمعون الفاكهة بكلتا

يديهم ، في الصباح الباكر يبدو هذا المشهد وكأنه آتي من الماضي السحيق وكأنه آخر شيئ تبقي للحفاظ علي الحياة المهمشة فليس هناك شيء يعلو علي الحقيقة.

في مطلع السبعينات كان في منطقة سانتا ماريا حوالي[1] ٦٠٠ إيكر* مزروعة بالفراولة والآن يوجد ستة أضعاف هذا الرقم فالفراولة هي أكثر المحاصيل وانتشاراً وحاجة إلي العمالة فزراعتها تنطوي علي الكثير من المتاعب والتكلفة إلا أن الأيكر منها يمكن أن يدر عائداً أكثر من أي محصول آخر باستثناء المارجوانا . علي نفس الأرض خارج جوادبوب حيث كانت أسر المزارعين تربي الماشية وترعي منتجاتها منذ زمن ليس بالبعيد توجد الآن مزارع الفراولة حيث يعمل بها آلاف من المهاجرين معظمهم مهاجرين غير شرعيين قادمون من المكسيك والحقيقة أن كاليفورنيا لا تستفيد وحدها منهم في زراعة الفراولة ولكن تستفيد أيضاً باقي الولايات في الأعمال الريفية والمزرعية الشاقة.

تبقي الزراعة هي الصناعة الأكثر أهمية في كاليفورنيا فمنذ الأربعينات أمدت كاليفورنيا الولايات المتحدة بإحتياجاتها من السلع الزراعية التصديرية وهي الأن تنتج نصف[2] إنتاج أمريكا من الفاكهة والمكسرات والخضروات فالكثير من السلع الزراعية تنتج في كاليفورنيا منذ الزراعة وحتى التصدير خصوصاً في الوادي الأوسط وهي منطقة تعتبر من أخصب الأراضي الزراعية في العالم إلا أن النشاط الزراعي في كاليفورنيا أخذ في التقلص فقد انخفض عائده السنوي [3] بمقدار ١٤٪ في العقدين الأخيرين. وفي الفترة من ١٩٨٢ حتى ١٩٩٧ يفقد حوالي ٣٠٠ ألف[4] أيكر من الأراضي الزراعية بكاليفورنيا سنوياً تتحول

* الايكر = ٤٠٠٠ متر مربع

المترجم .

إلي مناطق سكنية. الكثير من الحقول والأراضي يتم تقسيمها وإزالة الأشجار والمزروعات منها هذا وتتحول مياه الري إلي خدمة المدن والقرى كما اتاحت نظم التبريد والنقل الحديثة دخول منتجات من دول أعالي البحار إلي السوق الأمريكية لتنافس المنتج المحلي ناهيك عن تلوث الهواء الذي يؤثر سلباً علي الحاصلات الزراعية.

بيد أن القطاع الذي يخص إنتاج سلع زراعية مرتفعة القيمة هو الأكثر اعتماداً علي العمالة الرخيصة وهو أكثر القطاعات ازدهاراً وتوسعاً في الأقتصاد الزراعي لولاية كاليفورنيا ذلك أن الفواكه والخضروات التي تباع لزبائن ذوي وعي صحي مرتفع لا تزال تجمع باليد كل رأس من الخس وكل عنقود عنب وكل حبة أفوكادو أو خوخ أو برقوق وكلما زاد الطلب علي هذه السلع زاد كذلك عدد العمال الذين يجمعونها فكل محصول يزرع في كاليفورنيا اليوم يعتمد في[٥] ٣٠-٦٠٪ من عمالته علي مهاجرين غير شرعيين أن رغبتهم في العمل لساعات طويلة وبأجور زهيدة قد دعمت قطاع الزراعة بكاليفورنيا بالرغم من فقدان [٦]حوالي ٩ مليون أيكر منذ عام ١٩٦٤ من الأراضي الزراعية . يعتمد منتجوا الخضر والفاكهة في الغالب علي عمالة من السوق السوداء ومن دونهم سوف تختفي الكثير من المزارع. إن المهاجرين غير الشرعيين والذين ينظر لهم علي أنهم ملاعين ومخادعون هم في الحقيقة من يقدمون العون لأهم قطاع في اقتصاد كاليفورنيا.

أن ارتفاع أعداد العمال المهاجرين في كاليفورنيا مصاحباً للزيادة الكبيرة في أعداد المهاجرين غير الشرعيين يعكس اتجاهاً قومياً غير ملحوظ أخذاً في النمو. في الستينات كان هناك اعتقاداً سائداً أنه في خلال عقد [٧] لن يكون هناك المزيد من عمال الزراعة غير القانونين في الولايات المتحدة مما دفع الكثيرين للتكهن بان

التكنولوجيا قريباً سوف تغني عن هؤلاء العمال وأن المحصول [٨] الذي لن يتم جنيه آلياً حتى عام ١٩٧٥ لن يزرع في البلاد. ويمدنا فيليب مارتن استاذ الاقتصاد الزراعي بجامعة كاليفورنيا في دافوس وواحد من أهم الخبراء الزراعيين في البلاد بهذه الاحصاءات التي تقدم ذلك السيناريو فبناء على دراساته [٩] فإنه في العشرينات من القرن الماضي كان بالولايات المتحدة نحو مليوني مهاجر يعملون بالزراعة وبحلول الأربعينات أصبحوا مليوناً واحداً. وفي السبعينات عندما كانت سياسة سيزر شافييز نحو تنظيم حركة العمال المهاجرين في أوجها انخفض العدد إلي ٢٠٠ ألف مهاجر ثم بدأ الرقم في الزيادة فاستبدلت قوة العمل الزراعية المحلية علي نطاق واسع بالمهاجرين المكسيكين الذين يدخلون البلاد ويخرجون منها بشكل غير قانوني والأن فإنه من المستحيل تحديد عدد العمال المهاجرين بأي طريقة من الطرق وهناك أسباب أخرى من بينها أن بعض الأنشطة ترتبت علي وجود هؤلاء ويعتقد مارتن أنه يوجد الآن بالولايات المتحدة أكثر من مليون مهاجر يعملون في قطاعاتها وهم ليسوا كثيرا العدد فحسب ولكنهم يتقاضون أجور بخسة جداً. لقد انخفضت أجور [١٠] العمال المهاجرين في كاليفورنيا منذ الثمانينات إلي أقل من النصف بسبب التضخم. والمهاجرين هم أكثر الجماعات العاملة فقراً في الولايات المتحدة ومتوسطات أعمارهم عند هجرتهم ٢٩ سنة للرجال المولودين بالمكسيك والذين يكسبون أقل من ٧٥٠٠ دولار في السنة في مدة ٢٥ أسبوعاً من العمل في المزرع وبناء علي إحدى الدراسات فإن متوسطات أعمارهم (الفترة التي من المتوقع التي أن يعيشوها) لا يتجاوز ٤٥ سنة.

إن النهضة التي شهدتها صناعة الفرولة تجسد التغييرات التي أفرزها قطاع الزراعة في كاليفورنيا في السنوات الماضية والفرولة الأن تمثيل قلب صناعة

الزراعة في كاليفورنيا فمبيعاتها تبلغ ٨٤٠ مليون دولار [١١] سنوياً. والمزارعون الأمريكيون يتلقون الآن المزيد من الأموال [١٢] كل عام نظير الفراولة الطازجة أكثر من أي فاكهة أخري تزرع في البلاد باستثناء التفاح. والعمال الذي يجمعون الفراولة ليسوا فقط الأفقر بين العمال المهاجرين لكن معظمهم مهاجرين غير شرعيين. وأثناء موسم حصاد الفراولة قضيت أسابيع في سفر عبر مزارع كاليفورنيا في ثلاث مناطق رئيسية حيث الإنتاج الكثيف منها. أقابل العمال والمزارعين والأكاديميين والناشطين في مجال حقوق عمال الزراعة. وأخذتني أسفاري عبر وادي سانتا ماريا حيث الفقر يطوق المناطق الريفية والوسطاء المحاصصين يتصيدون العمال بقسوة تحت وطأة تلالاً من الديون. وفي منطقتي واتسونفيل وساليناس حيث يزرع تقريباً نصف محصول الفراولة في البلاد وحيث الأمطار الموسيمية الغزيرة تجعل حياة الكثيرين أكثر صعوبة وعبر منطقة شمال ساندياجو حيث القوي التي تدمر قطاع الزراعة في كاليفورنيا وتلك التي تدعمه تعملان بشكل أكثر حزماً وحيث الحاجة إلي العمال وإلى تقنيين حقيقيين في نزع مستمر وحيث الحياة القاسية للعمال في أكواخ العالم الثالث والتي علي مقربة منها توجد الأحياء والضواحي الراقية والمترفة. في حقول الفراولة بكاليفورنيا ربما لا يتثني لأحد أن يجد الإجابة علي الكثير من الأسئلة الملحة التي كثرت بسبب المهاجرين غير الشرعيين الأمر الذي يبدو أنه لا يقل صعوبة عن الحصول علي دواء إلا بأمر الطبيب.

## نبذة عن هذه الصناعة:-

لا يبدو منظر حقول الفراولة جميلاً فهي تفتقد إلي سحر بساتين الموالح والتفاح أو حتى حقول الذرة فالفريلة الأن بتبدأ زراعتها وتنتهي تحت البلاستيك فقبل زراعة الفراولة تغطي الأرض بالبلاستيك ثم تحقن بغاز بروميد* الميثيل وهي معاملة كيميائية لقتل الكائنات الضارة بالتربة مثل الفطريات والينماتودا ثم يزل الغطاء ثم يبدأ العمال بفتح صنابير الري علي مرقد البذرة ثم تغطي بغطاء جديد من البلاستيك ثم تدخل النباتات تحت البلاستيك باليد هذا البلاستيك يساعد على حفظ رطوبة التربة من حرارة الشمس ويحمي التربة من التعري وعند نهاية الحصاد يقوم العمال بحش النباتات والتخلص منها وإزالة البلاستيك وصنابير الري وفي العالم التالي تبدأ النباتات في طرح ثمار فراولة صغيرة.

لم تكن كاليفورنيا دائماً مسيطرة علي إنتاج الفراولة ففي مطلع الخمسينات [١٣] لم تكن هذه الولاية تنتج سوي ثلث إنتاج البلاد منها ثم أخذت هذه الزراعة في الصعود متأثرة بوجود تقنيات حديثة وأصناف جديدة وعمالة رخيصة وبين عامي ١٩٧٤ و١٩٩٤ تضاعف [١٤] إنتاج كاليفورنيا من الفراولة بمقدار ثلاثة أضعاف وانخفضت الأسعار وضاعف [١٥] الأمريكيون مشترياتهم من الفراولة الطازجة وفي عام ٢٠٠١ قامت كاليفورنيا بشحن [١٦] ٩١ مليون صندوق من الفراولة الطازجة يزن الواحد منها ١١,٥ رطل وتنتج الولاية [١٧] الآن نحو ٨٠٪ من إنتاج الفراولة في الولايات المتحدة وحوالي ربع [١٨] إنتاج العالم منها. في المواسم الناجحة تصبح الفراولة واحداً من أهم المحاصيل في كاليفورنيا لكنه أكثرها معاناة فهذه الفاكهة تجتذب عدد كبير من الأفات كالمن والتيماتودا والعنكبوت الأحمر كما تعاني حتى من التقلبات الجوية فمهما اعتني المزارع

* تتم تغطية التربة بمسطحات من البلاستيك ويحقن تحتها غاز بروميد الميثيل عن طريق "لات حقن خاصة تدفع الغاز بين حبيبات التربة للقضاء على السبات المرضية الموجودة في التربة المترجم.

بإعداد الحقل والعمليات الزراعية ومهما اختار من أصناف جيدة تبقي العوامل الجوية هي المحدد لحجم وكمية الإنتاج عند الحصاد فالظروف المثالية لإنتاج الفراولة هي وجود ليل بارد ونهار دافئ مشمس وسرعة رياح لا تتجاوز الخمسة أميال في الساعة وعدم وجود أمطار عند بداية الإثمار ذلك أن الأمطار التي تسقط لفترة وجيزة وبشكل غير متوقع قد تدمر المحصول بسرعة والصقيع قد يحرق الأزهار والعواصف قد تسبب احتكاك الأوراق بالثمار فتتسبب في إحداث بقع بنية علي البشرة الخارجية للثمرة أما الحرارة الشديدة فتؤدي إلي تقزم وليونة الثمار والأسواء من ذلك كله هي الأمطار الغزيرة ذلك أن ثمار الفراولة هشة جداً وقد تحدث بها أخاديد من جراء الأمطار الغزيرة وهذه ربما تدخل منها جراثيم فطريات التبقع والعفن إن أياماً قليلة من المطر الغزير قد تدمر محصولاً علي وشك الحصاد.

أما سوق الفراولة فهو كالطقس خطر ولا يمكن التنبؤ به فتلف الثمار الطازجة يسبب للمزارعين خسائر فادحة ذلك أن عشرة أيام بعد الحصاد كافية لتلفها وقد قال لي أحد المزارعين "لا يمكنني حفظ محصولي مطموراً في الأرض كما يفعل مزارعو القمح ثم يستخدمون برنامج كمبيوتر لمعرفة أنسب وقت للبيع" حيث أن التقليات السعرية للثمار الطازجة حادة جداً فهي تتقلب من ٣-١٥ دولار للصندوق حسب جودة المنتج وكيمة المعروض وتوقيت البيع هذا بالإضافة إلي عدم الدقة في الوزن . المزارعون الذين يزرعون محاصيل من نوع خاص لا يستفيدون مباشرة من أي دعم سعري تقدمه الحكومة وبالرغم من أن الفراولة التي تزرع في كاليفورنيا تعطي إنتاج على مدي تسعة أشهر في السنة إلا أن ربع أو خمس النباتات فقط تصل إلي النضج في توقيت الحصاد وهي فترة لا تتجاوز

أسابيع قليلة لذلك فالمزارع لديه وقت قليل ليختار العرض السعري المناسب لمنتجه فالثمار المخزنة لا يتجاوز سعرها ٢٥ سنتاً للرطل.

إن المزارعين الأكثر مهارة يزرعون أصناف عالية الجودة ولديهم رؤوس أموال كافية لتجاوز المواسم السيئة كما يمكنهم بيع منتجاتهم من خلال اتحاد المنتجين وبعضهم يربح ما يقدر بعشرة آلاف إلي عشرين ألف دولار عن كل أيكر ولكن بعضهم يجد نفسه واقعاً تحت رحمة الظروف الجوية وتقلبات السوق وكما هو الحال في إنتاج الخضروات والفواكهه تكون الأرباح الثابتة دائماً من نصيب الوسطاء من الموزعين وأصحاب المبردات وسلاسل السوبر ماركت وليس المزارعين وفي زراعة الفراولة ربما يمني المزارعون بخسائر فادحة فتكاليف الإنتاج لا تقل بأي حال عن ١٢ ألف إلي ٣٠ ألف دولار للايكر [١٩]. إن خمسين أيكر مزرعة بالفراولة عالية الجودة يمكن ان تحقق ربحاً سنوياً يصل إلي مليون دولار وهناك إجراءات قليلة يمكن للمزارع اتخاذها من أجل تحديد التكلفة المباشرة كالمبالغ المستحقة للممولين مثل ثمن الشتلات والمبيدات وصنابير الري إلا أن الشيء الوحيد الذي يمكن للمزارع التحكم في تكاليفه هو العماله.

الكثير من المزارعين يقومون بأدوارهم ويعاملون مستخدميهم بالحسنى والحقيقة إن من يحصدون الفراولة يطمحون جميعاً إلي العمل في مزارع تابعة لـ Driscol Assoaiated لدريسكول اسوشييت حيث الحقول نظيفة والأجور هي الأعلي.بعض المنظمات مثل Naturipeو Darling Sweetو Berry Coastal هي أيضاً ذات تنظيم جيد وإنه لمن الخطأ أن نعتبر كل مزارعي الفراولة مسيئون لمستخدميهم ولكن البعض يفعل ذلك وعندما تبلغ تكلفة العمالة من ٥٠-٧٠٪ من التكلفة الكلية [٢٠] للإنتاج فإن الاقتطاع منها يعني أحياناً الفرق بين المكسب والخسارة أو بين موسم جيد وآخر سيئ فالإغراء بخرق القوانين كبير جداً

والعقوبات التي تنزل بمن يرتكب مثل هذه الخروقات ضئيلة جداً وفي السنوات الماضية بدأ بعض المزارعين في ممارسة شيء من ضبط النفس.

ومن أسهل الطرق لخفض تكلفة العمالة هو عدم قيدهم في دفاتر الحسابات فالمزارعون عادة ملزمون بالمساهمة في إعانة البطالة والعمال ينتظرون المكافأة والإثابة ممن يعملون لديهم هذا بالإضافة إلي الرسوم والضرائب التي تحصل منهم. الدفع نقداً لعمال يعملون بمعرفة صاحب العمل من دون رقابة يوفر نحو ٢٠٪ من قيمة الأجر علي الأقل وعندما يتم تجاهل قوانين كاليفورنيا بخصوص الوقت الإضافي Over Time فإن هذه الأجور تخفض بمقدار النصف كما أن الأخفاق أوالامتناع عن دفع الأجور يزيل الكلفة كلياً فالرقم الكبير للمهاجرين غير الشرعيين بين المهاجرين يدعو إلي خرق القوانين فهم لا يرغبون في أي التزام تجاه العمال يمكنهم من ضمان حقوقهم.

أن نظام الزرعة بالمشاركة هو أفضل نظام يضمن للمزارعين التنصل من الالتزامات تجاه عمالهم فهو نظام يقوم فيه شريك وهمي وهو عادة مزارع في منتصف العمر ينوب عن صاحب المزرعة في تحمل التبعات القانونية والمخاطر النهائية للإنتاج وهذا النظام متحذر في زراعة الفراولة وهو عملية لا تشبه الإنتاج الزراعي المنظم والمدروس.

## العبودية من جديد:-

عندما قابلت فيليب (وهو اسم وهمي مثل باقي الأسماء التي تذكر مفردة) بدا في أسوأ حالة فملابسة كانت قذرة ورثة ووجهة يبدوا متجهماً وغير حليق الذقن ويبدو حقل الفراولة المملوك له كالتل فالسطور كانت مكسوة بالنباتات والصناديق القديمة وعلب الصودا وصنابير المياه بعضها مكسور ولا توجد أغطيه بلاستيكية فهي مرتفعة الثمن كما أخبرني والشركة لم تدفع له بما يكفي وعلي

مقربة كان عماله يجمعون ثمار غير ناضجة من نباتات العام السابق فالمطر دمر حقله كلياً وكان فيليب يبيع ثماره بـ ١٢ سنتاً للرطل ولم يكن يفهم لماذا ينخفض سعر الفراولة الزائدة لهذا الحد لكن شريكه الوهمي طلب منه الموافقة علي هذا السعر المتدني فهم علي حد قوله " يستخدموننا كالعبيد ويدفعون لنا كيفما شاؤا" ووعدني بأن يرسل لي وثائق قانونية تعزز ما يقوله كان الموسم الثاني علي وشك البداية وكان فيليب مديناً بحوالي ٥٠ ألف دولار نصفها تقريباً من ديون العام السابق كما كان مديناً لـ IRS ( مصلحة الضرائب ) بخمسة ألاف دولار إضافية ويقول فيليب إنه لا يتذكر يوماً كان فيه علي ما يرام فهو دائماً في الحضيض لقد كان فيليب يعمل في جمع الفراولة حتى عرض عليه مستخدمه ما إذا كان يريد أن يصبح مزارعاً وبعد ستة عشر عاماً من عمله كشريك بالمزارعة (أو شريك محاصص) لم يحصل سوي علي القليل من الفائدة.

لقد نشأ نظام إن نظام الزراعة بالمشاركة في كاليفورنيا منذ حوالي قرن وتأثر ارتفاعاً وهبوطا حسب القوانين وحجم العمالة . واتخذ تسميات مختلفة كالشريك المحاصص أو الشريك في الزراعة أو الشريك في المزرعة أو المستأجر أو المحاصص. إن الاستراتيجية الجديدة التي بجعل المزارع يتحمل المخاطر الكبيرة أصبحت أكثر انتشاراً وفي الثمانينات تعدت هذه الطريقة زراعة الفراولة إلي محاصيل أخرى مثل التوت ونبته الثلج والقرع وبناء علي هذه الطريقة يترك المزارع الحقل لعامل وأسرته او عاملة وأسرتها علي أن يقسم الربح مناصفة. وبهذه الطريقة يصبح المحاصص هو صاحب العمل وعليه الاستجابة لمطالب العمال ودفع أجورهم ودفع الضرائب عنهم وتعديل وضع إقامتهم ويصبح المزارع (أو مالك المزرعة) ملتزماً بباقي مستلزمات الإنتاج وبجعل عمال الزراعة أصحاب عمل افتراضيين فإن أصحاب المزارع يتجنبون المسئولية أمام العمال

أو قوانين الهجرة وكذلك الخسائر الكبيرة فالشريك المحاصص يتحمل الجانب الأكبر من المخاطرة فهو لا يعرف مقدار الفائدة التي سوف يجنيها في عامة أو مقدار ما يسمح له به المالك من ربح.

قام عدداً من الزراع المحاصصين بترتيب عملهم وتمكنوا من النجاح في ظل هذا النظام وربحوا ما يكفي من المال لكي يصبحوا مزارعين معتمدين علي أنفسهم وهؤلاء تحولوا فيما بعد إلي أصحاب مزارع وهم يعرفون بالمكسيكانوز Mixicanos لكن الكثير من الزرع المحاصصين لم يربحوا بما يكفي في نهاية السنة فما ربحوه أقل مما ربحه العمال الذين يعملون بأقل أجر أو أنهم لم يربحوا شيئاً علي الإطلاق.

وقد حكمت المحكمة [٢١] العليا بكاليفونيا عام ١٩٨٩ بأن الزراعة بالمحاصصة لا تعفي أصحاب المزارع من التزاماتهم تجاه قوانين العمل فالزراع المحاصصين ليسوا مستثمرين مستقلين كما قالت المحكمة. وأصحاب المزارع لا يمكنهم التنصل من التزاماتهم بمجرد اعتمادهم علي أسماء جدد تدير أعمالهم بالنيابة وبعد استقرار هذا الأمر القضائي عمل به في زراعة الفراولة في التسعينات مما عزز القرار القديم وجعله أكثر إنسانية وموائمه. إن العديد من عمليات الزراعة بالمشاركة تخفي ورائها مزارعون وأصحاب مزارع كشركاء وهميين يسعون لحماية أنفسهم من المخاطر النهائية التي تنطوي عليها زراعة الفراولة. ولكي يتم تمويل زراعة الفراولة أصبح هناك لاعبين جدد يسمون وسطاء السوق يفرضون زراع المحاصصة المال للإنفاق علي الزراعة بنسبة ربح مرتفعة تصل إلي ١٩٪ وطبقاً للنظام القديم فإنه في حالة حدوث خطأ أو لم تسير الأمور علي ما يرام فإن المحاصص لن يحصل علي شيء مقابل عمله أما طبقاً للنظام الجديد فعلاوة علي ذلك سوف يكون مديناً بآلاف الدولارات.

يعتقد ميك ميوتر المحامي لدي إدارة الشئون القانونية الريفية بولاية كاليفورنيا CRLA في بلدة سالیناس أن أكثر من نصف [٢٢] زراعات الفراولة في منطقته بما فيها منطقة واتسنفيل تزرع بطريقة المحاصصة كما قام فريق [٢٣] عمل من( CRLA ) في منطقة سانتا ماريا يعمل دراسة بهذه المنطقة فوجدوا أن نصف إلي ثلاثة أرباع زراعات الفراولة بها تمول بنفس الطريقة وليس هناك شك في أن هذا النظام منتشر علي نطاق واسع وتعتقد جيني باريت المحامية لدي نفس الجهة والتي ظلت تشاهد المموليين والمحاصصين يجيئون ويذهبون في منطقة سانتا ماريا لأكثر من عقدين أن النظام الجديد هو الأسواء حتى الأن وأنه ضرب من [٢٤] ضروب السخرة والديون الثقيلة.

وعندما زرت سانتا ماريا كان بها واحد من أكبر الوسطاء التجاريين هو كيرك [٢٥] بروديوس وقد أسس شركة تضمه هو وبعض كبار الملاك ممن يترددون عليها لكن الاتفاقيات التي كانت تبرم بين كيرك والزراع المحاصصين لكيرك تكتب بمعرفة خبيره القانوني بيترجوسدون الذي كان يصوغها بكثير من الحرفية والمهارة لكي يضمن بالمستندات القانونية إن الشركاء المحاصصين لكريك لن يأخذوا وضع الموظفين لديه وأنه ليست هناك ثمة شراكة كعلاقة إيجارية أو زراعة بالمناصفة أو أي نشاط استثماري ينطوي علي شيء من المخاطرة فالاتفاقية تنص علي أنه عندما يستأجر شخص ما ارضاً من كيرك يكون ذلك علي مسئوليته الشخصية وكذلك بالنسبة للأموال التي يقترضها منه أيضاً بغرض استزراعها يكون ملزماً بدفع هذه المبالغ بالإضافة إلي ما يستفيد به من منافع أخري كالري كما يحدد كيرك مستوي الجودة المطلوب للثمار إذ تباع فقط من خلاله وهو المحدد الوحيد للسعر هذا بالإضافة لكون كيرك له الحق في استرداد مزرعته متى شاء وأن

يغير مزارعة إذا لم يوافق أسلوبه في العمل هواه مع اعتبار أن ذلك لا يسقط الديون والأموال التي أدين بها له.

كما أن وسطاء السوق ما زالوا يطلبون مطالب مشابهة. إن معظم الزراع المحاصصين الذين يوقعون علي هذه الاتفاقيات والتي يزيد عدد صفحاتها عن ١٣ صفحة من السطور المتزاحمة لا يستطيعون قرائتها فهي تكتب باللغه الإنجليزية بينما السواد الأعظم منهم يتكلمون الأسبانية ولبست لديهم خبرة بالمسائل القانونية وقد أوضحت إحدى الدراسات أن معظم هؤلاء المزارعين خارج منطقة واتسينفيل لا يتجاوز تعليمهم المرحلة الإبتدائية وتنوه عقود الاتفاق التي يبرمها كيرك مع عملائه إلي أنهم مزارعون أو أصحاب مزارع مستقلون ويعملون لحسابهم وأن لديهم وعي قانوني وقد حصلوا عل النصائح القانونية اللازمة قبل توقيعهم عليها إلا أن هذه العقود تتيح قدر ضئيل من الحركة للزراع وتجعل الفرص لفقدان مزارعهم كبيرة جداً فهم يجدون سهولة في التوقيع علي مثل الأوراق لكنهم لاحقاً يدركون أن الثمن الحقيقي كان باهظاً فالوسطاء التجاريون لديهم فرص كبيرة لتحصيل أموالهم فبعد اقراضها للمزارعين يمكنهم تحصيلها بثلاثة طرق فإما أن يؤدي دينه في شكل عمل يقوم به لصالح دائنة فكريك عادة يورد لعملائه الشتلات والمخصبات والمبيدات ولوازم التعبئة أو يقدم له حصة من الإنتاج أو يعيد دفع ما استدانه من أموال إضافة إلي فوائدها كما يتقاضى الوسيط دولاراً أو أكثر عن كل صندوق يتم بيعه أو جمعة نظير حفظه في المبردات المملوكة له هذا ويتحتم علي معظم المزارعين بيع كل إنتاجهم للوسيط بغض النظر عن السعر الذي يعرضه وعادة يشتكي المزارعون من أنهم لم ينالوا حقوقهم بالكامل نظير ما باعوه من فاكهة وهم علي حق فكل المزارعين الذين قابلتهم في

سانتا ماريا تسلمو فقط خمسة دولارات عن كل صندوق بينما سعر السوق في ذلك الوقت كان يتروح بين ٨-١٤ دولار لكل صندوق.

الوثائق التي أرسلها لي فليب لاحقاً اعتمدت علي نوع من أنواع دفاتر الحساب التي تستخدم أحياناً وهي مأخوذة من إدارة السوق بقسم الأغذية والزراعة بولاية كاليفورنيا وذلك للمساعدة في دراسة حالته فبعد حوالي ١٨ شهر وجد فيليب نفسه مطالباً بدفع ١١٨٣٢٠ دولار لصالح أحد وسطاء السوق يدعى آج مارت بروديوس ففي الأيام التي كان سعر السوق فيها ٨,٧٥ دولار كان فيليب يتقاضى ٧ أو ٥ أو ١,٤٧ دولار لكل صندوق وفي بعض الأيام كان الوسيط يبيع المئات من الصناديق التي أخذها من فيليب ولم يتقاضى الأخير شيء من ثمنها علي الإطلاق ومع الوقت اكتشف قسم الأغذية والزراعة بولاية كاليفورنيا هذه الممارسات فقرر أج مارت بروديوس وقف أعماله ومغادرة الولاية.

إن أسوأ حالات الانتهاك لقوانين الولايات وقوانيين العمل الفيدرالية يرتكبها الزراع المحاصصون تحت وطاه ديونهم والرغبة في سدادها فالعامل يريد أن يتقاضى أجره في نهاية كل أسبوع لكن الوسيط يدفع ثمن الفاكهة كل ثلاثة أسابيع بالإضافة إلي أنه يحصل علي حصة من الإنتاج نظير خدمات يقدمها للمزرع لذلك فالأموال المتبقية التي تدفع مباشرة والتي يفترض أن يحصل عليها العمال تكون قليلة جداً. وكما شرح لي بيتر جوسدوف محامي كيرك إن كيرك ليست لديه رخصة للعمل في الإقراض إنه يحصل علي الأموال من البنك الزراعي الفيدرالي وهو لديه استثناء من قوانين الفائدة ويمكنه مقاضاة أي من عملاءه إلا أن جوسدوف أكد لي أن كيرك لا يستفيد من هذه الأرباح فهي تخص المساهمين بالشركة والذين هم مزرعين مستقلين لكي يتمكنوا من الحصول علي موسم زراعة جيد.

ويعتقد بيل هورجر كبير المحاميين (مدير الشئون القانونية) لدي إدارة الشئون القانونية الريفية بولاية كاليفورنيا CRLA أن هذه الفوائد او هذا النظام صمم لكي يظهر الزراع المحاصصين كمستثمرين حقيقيين فوسطاء السوق Commission Merchants عادة لا يريدون للزراع آن يسددوا هذه المبالغ لكي يحصلوا علي فوائد فطبقاً للنظام القديم تعتبر هذه الأرباح هي تكاليف تشغيل ولكن طبقاً للنظام الحديث فهي ديون مستحقة وتحقق فوائد فاحشة في نهاية العام ويري أن هيشمان وهو مستشار في منظمة العمل (مكتب العمل) بولاية كاليفورنيا أن هذه الديون تترك الكثير من الزراع المحاصصين يقعوا في مصيدة العبودية Servtude وقد قال لي أحد المزارعين المتمرسين في زراعة الفراولة الذي وجد نظام الزراعة بالمحاصصة الجديد مزريا جداً إنه ليس هناك من خطط جديدة وإذا أردت توصيفاً دقيقاً للوضع فما عليك إلا قراءة كتاب توماس هاري (محافظ كاستر بريدج The Mayor Of Cadterbridge ) .إن كل من قابلتهم من المزارعين بالمحاصصة كانوا في عسرة شديدة من أمرهم فهم عادة يطعمون أسرهم من أجور يتفاضونها عن عمال وهميين يضعونهم علي قوائم دفع الأجور وعندما قمت بزيارات عشوائية لحقول هؤلاء سمعت نفس القصة مراراً ورأيت نفس المشهد من المعاناة وكان بيدرو هو المزارع الوحيد الذي رأيته ولم يكن محطماً فوجهه وسيم ومستدير وبه شارب وهو في السادسة والثلاثين من العمر لكنه يظهر أكبر من ذلك بحوالي عشر سنوات وقد عمل بجمع الفراولة لثماني سنوات ثم عمل سائق جرار زراعي ويقول إن واحداً من الإيكرات المزروعة لديه قد تعرض للغرق وبذلك فقد كل شيء في ذلك الموسم وقد غمرت الفراولة المزروعة في الأربعة وثلاثين ايكر المتبقية بفعل المطر وبعد عمله لست سنوات كمزارع بالمحاصصة أصبح مديناً بـ ١٢٥ ألف دولار معظمها فوائد متراكمة وقد

سألته كيف أصبحت مديناً بهذا المبلغ فقال لي بلا مبالاه لا أعرف كل ما أعرفه هو أنني مديناً به ولم يؤثر ذلك في مزاجه المبتهج أن كل ما يشغل باله معظمهم هو أن يوفر عملاً للمهاجرين من مواطنيه أو من يرغبون في العمل علي أن يصبحوا عمالاً لديه. يقول بيدرو وهو يحصى عماله الذين كلفهم بإزالة الأغطية البلاستيكية التي مزقتها الرياح لا يهمني أمر مستلزمات الإنتاج أنا من شهود* يهوده.

## استكشاف الريف[٢٦]:-

لم تكن أسر المزارعين في كاليفورنيا يوماً جزءاً فاعلاً في اقتصادها الزراعي كما ظل العمال المأجورين يحلمون بيوم يتملكون فيه أرضهم إنه مجتمع بعيد كل البعد عن أفكار جيفرسون† المثالية فالنمط الاحتكاري لامتلاك الأرض والذي نشأ علي غرار النموذج الأسباني أو المكسيكي لم يتأثر بضم كاليفورنيا إلي الولايات المتحدة. إن الثروة الضخمة من مزارع القمح التي نشأت في كاليفورنيا في منتصف القرن التاسع عشر قدمت نموذجاً مبكراً للمستثمر الزراعي الأمريكي والذي سرعان ما نشأ علي غرارة مستثمرين في زراعة الخضروات والفاكهة ويبدوا اقتصاد كاليفورنيا الزراعي غير محدود أو محدد فالتربة كانت خصبة جداً والمناخ قريب من المثالي ومياه الري متوفرة وكل ما افتقدته الولاية هو جيش من العمال لكي يجنو فواكهها من تفاح وبطيخ وموالح وبلح وقد وصف المؤرخ كلوتس دانيل بداية الإنتاج الزراعي الضخم في كاليفورنيا بأنه بحثا عن الريف أو استكشافه لقد عمل المهاجرون الصينيون واليابانيون الأوائل علي استصلاح الحقول والعمل فيها حتى صدر قانون عام ١٨٨٢ وموافقة الأعيان عام ١٩٠٧ على الحد من

* شهود يهوه : جماعة مسيحيه متشدده .

* توماس جيفرسون ( ١٧٤٣ - ١٨٢٦ ) الرئيس الثالث للولايات المتحدة الأمريكية ( ١٨٠١ - ١٨٠٩ ) يعتبر الواضع الرئيس لوثيقة أعلان الاستقلال كما أنه أحد الآباء المؤسسين المترجم .

هجرتهم. في مطلع القرن العشرين رُحب بالمكسيكيين كحل لمشكلة العجز المزمن للعمالة في مزارع كاليفورنيا أما المكسيكين فلم يكن الجدل المثار حولهم في أنهم يعملون بجهد لفترات طويلة نظير أجور منخفضة متي طلب منهم ذلك ولكن لكونهم يمكن أن يرحلوا إلي بلادهم أيضاً متى أريد منهم ذلك.

لقد كانت هناك حرية حركة بين كالفورنيا [٢٧] والمكسيك حتى عام ١٩٢٩ عندما أصبحت الهجرة غير القانونية للولايات المتحدة عملاً إجرامياً في حين كان حوالي ٧٠-٨٠٪ من[٢٨] العمال المهاجرين في كاليفورنيا مكسيكيين في ذلك الوقت. كما تزايد تعداد المكسيكين في لوس[٢٩] أنجلوس أكثر من أي مدينة أخرى في العالم باستثناء مكسيكوسبتي لقد كان المهاجرون المكسيكيون غير الشرعيين هم عماد الاقتصاد الزراعي في كاليفورنيا وقد وصف المؤرخ جون شتينبك في كتابة عناقيد العضب Gmpes Of Wrath هجرات العمال من إنجلترا وأوكلاهوما بأنها كانت استثناء تاريخياً ولأكثر من قرن كان السواد الأعظم من العمال المهاجرين في كاليفورنيا الشرعيين منهم وغير الشرعيين هم مكسيكيون ولم تتغير جنسيتهم بمرور الأجيال كما لم تتغير طبيعة عملهم إن معظم الإنتاج الزراعي في كاليفورنيا يحصد اليوم يدوياً كما هو الحال في القرن الثامن عشر.

لقد صنعت الآلات لتحصد تقريباً كل الفواكه والخضروات التي تزرع في الولايات المتحدة إلا أن هذه الماكينات يتم استخدامها فقط عندما تكون تكلفة تشغيلها أقل من أجور العمال المهاجرين لأداء نفس العمل وفي عام ١٩٧٠ حقق اتحاد العمال الزراعيين UFW نجاحاً عظيماً لتنظيم عمل المهاجرين في زراعات العنب والخس في كاليفورنيا وامتد أثر ذلك النجاح ليشمل محاصيل أخرى. لقد حفز هذا العمل العديد من المنتجين لرفع أجور عمالهم وتقديم العون لهم وتحسين

ظروف عملهم. في نفس الفترة تقريباً وضعت ولاية كاليفورنيا بعض الضوابط القانونية والتي كانت بمثابة عقد صفقة مع العمال ليعملوا بأجور منخفضة مقابل منحهم إعانة بطالة وبزيادة تكلفة العماله أصبحت الميكنة الزراعية تشكل أولوية لدي أصحاب المزرع لكن نجاح حكام الولاية الجمهوريين مثل جورج وكميجان وبيتريلسون خلق جسراً بين لوائح العمل وتنفيذ قوانين العمل الصارمة بالولاية وغضب العمال الاتحاديون واستبدلوا بعمال مهاجرين وتجنب المزرعون المسائلة القانونية الخاصة بظروف العمل متسترين خلف الزراع المحاصصين باعتبارهم هم من جلبوهم وقاموا باستخدامهم وحرمانهم الحقوق الأساسية للعمال كالاجازة المرضية وبدل العطلة وبدل المسكن والرعاية الصحية. في مطلع السبعينات [٣٠] كان اتحاد العمال الزراعيين لديه ٨٠ ألف عضو والأن لديه ثلث ذلك العدد [٣١] فالمهاجرين رخيصون جداً في كاليفورنيا ( شكراً للهجرة غير الشرعية ) فالمهاجرين غير الشرعيون لا يحصدون فقط الفواكه والخضروات كما يجب بل يعبئونها في الحقول أيضاً أما مراكز التعبئة الآلية التي من شأنها توظيف عمال اتحاديون فهي خارج نطاق العمل ولأجل ميكنة قطاع الزراعة في كاليفورنيا يقول المخضرمون في هذا المجال نحن بانتظار مكسكة [٣٢] Mexicanization هذا القطاع.

**فاكهة شيطانية:-**

عند ما زرت واتسنفيل في منتصف إبريل كان المطر غزيراً بحيث أغرق المئات من الأيكرات بينما البراميل البلاستيكية الزرقاء والتي تحتوي علي مواد التدخين مبعثرة في الحقول ومطمورة في التربة الكثير من الحقول التي لم تغرق قد دمرت بفعل المطر وقد قابلت العمال في معسكر عمل قديم في حي للفقراء يقع بين التلال التي تحيط به حيث حقول الفراولة علي مقربة منه. هذا المجمع الكئيب من

الثكنات الخشبية يظل مكتظاً بحوالي ٣٥٠ شخص طوال العام كلهم من العاملين بحقول الفراولة هم وأسرهم. لكن في ذروة الموسم يتكدس المئات في ثكناته الأربعين. في منتصف التسعينات كان هناك انتشاراً واسعاً لمرضى السل في هذا المخيم ساعد عليه التكدس والمباني ذات التصميم الفقير فالد هاليز والممرات الأساسية تحولت إلى غرف نوم مكتظة بدون نوافذ ويبلغ إيجار الشقة ذات الغرفتين ٥٠٠ دولار ومن يحصل عليها يكون محظوظاً جداً لكونه وجد سقفاً يستطل تحته وكلما مشيت حول المخيم وجدت اطفالاً يجرون ويلعبون في كل مكان غير مكترثين بالقازوزات. كانت السماء ملبدة مما ينذر بقدوم طقس سيء وهؤلاء العمال ينتظرون الشهور القليلة لتحديد ما سيجنونه في عامهم وقد اخبرني عدد من العمال ممن ينامون في جراج للسيارات أنهم في هذا الوقت من السنة يعملون ٨- ١٠ ساعات يومياً كان واحد منهم في وقتها فقط هو الذي يعمل وفي كل صباح يذهب الأخرون إلى حقول الفراولة الغربية يسألون عن عمل ثم يتم ابعادهم إذ يقول لهم من كان يقوم بتشغيلهم في الأعوام السابقة حاولوا في الأسبوع القادم. تسير أعمال الحصاد في حقول الفراولة كما هو الحال في معظم مواسم العمل الزراعية في كاليفورنيا كيفما أُتفق فليس هناك نظام للتعاقد ولارقابة ولا تعهد باستمرار العمل يوماً بعد يوم فصاحب العمل أو المزارع يقوم بتشغيل وتسريح العمال متى كان ذلك ضرورياً دونما حاجة إلى إبداء الأسباب فهو لا يكترث بما إذا كان العامل المهاجر ظل يعمل لمدة سته أيام أو ستة أعوام فالأجور تدفع بشكل يومي فلو اراد المزارع عملاً بطيئاً ومنظماً فإنه يدفع الأجر بالساعة ولو أراد أن يخلي حقله من الثمار بسرعة فإنه يدفع الأجور حسب الأنتاج لكي يزيد من سرعة العمل. فالعامل عادة لا يعرف كم سيبلغ طول يوم العمل أو كم سيتقاضى نظير عمله عند خروجه للعمل في الصباح. فقد يكون هناك

اسبوعاً به عشر ساعات عمل يومياً ثم يتبعة أسبوع أخر من دون عمل على الاطلاق ويعتمد ذلك على حالة الطقس والسوق .

لم يتأصل هذا النظام لإن المزارعين جشعين أو عديمي الشفقة فعملية الحصاد ومن يقومون بها لا يمكن التنبؤ بشأنهم من البداية حتى النهاية فبعض المزارعين يحاولون أن يضمنوا مستوى ثابت من الدخل لعمالهم كل أسبوع ولاعتبارات أخرى فأنهم بحسهم العملي يعملون على عودة العمال الموثوق بهم والقادرين على العمل كل سنه فهم حتى الأن يعرفون اين يوجد مكمن القوة .

ظلت الفراولة لوقت طويل تعرف لدى العمال المهاجرين بأنها فاكهة شيطانية The frut of the I devi- La fruta del Diablo وجمعها هو واحد من أكثر الأعمال مشقة وأقلها أجراً ومن يعملون بها هم الأكثر معاناة وسوء حظ في كاليفورنيا فثمار الفريلة هشة جداً وسهلة الخدش ويجب جنيها بحذر بالغ خصوصاً تلك التي تسوق طازجة أما السوق فهو متقلب جداً حتى أنه لا يقبل الثمار التي تسقط عنها القلنسوة الخضراء التي تعلوها فالعمال لا بد أن يرنقوها في سلات حتى تجذب انتباه المتسوقين فلكلى يتعلموا كيفية التعبئة السليمة للفريلة قد يستغرق ذلك اسابيع والعمال لا بد أن يكونوا دائمي الاستجابه ليس فقط لجمع وتعبئة الثمار ولكن أيضاً لرعاية النباتات فصنابير الري لا بد من صيانتها دورياً . الأجزاء الحديثة والسيقان والنباتات المتجذرة لا بد من ازالتها وإلا فإنها سوف تتلف البقية وعندما يكون الأجر على اساس الأنتاج فإن العمال عليهم أن يعملوا بأقصى جهد لديهم فهناك حالة من الاضطراب تنتاب الحقل الذي تدفع أجور حصاده بالإنتاج فالعمال يتحركون بسرعة عبر الممرات يدفعون عربات صغيرة يتوقفون ثم يعودون يزيلون الأوراق عن يمنيهم ويسارهم ويجنون الثمار ويضعونها في الصناديق يفحصون النباتات ويستمرون في العمل كل في ذات

الوقت وما إن تمتلئ الصناديق حتى يدفعونها إلى مؤخرة الحقل ويعودوا لتكرار نفس العمل.

نباتات الفريله لا يزيد ارتفاعها عن ٤ - ٥ بوصات وعند تمام نموها يتراوح ارتفاعها من ٨ - ١٢ بوصة لذلك فعليك الانحناء حتى خاصرتك لتحصد ثمارها الأمر الذي يفسر صعوبة ذلك العمل فالبقاء لساعة واحدة بهذا الوضع يمكن أن يسبب تيبس والآم في الظهر أما البقاء بهذا الوضع لعشر أو أثنا عشر ساعة يومياً لعدة أسابيع يمكن أن يسبب آلاما مبرحة قد تستمر مدى الحياة فمعظم من يعملون يجني الفريلة يعانون من آلام مزمنه بالظهر فالعمال الزراعيون كالرياضين تقل سرعتهم في العمل يتقدمهم في العمر فهم أسرع مايكونوا في نهاية العقد الثاني وبداية العقد الثالث من حياتهم. معظم المهاجرين يعملون في جمع الفراولة وهم في منتصف الثلاثينات وبالرغم من كون بعض النساء من ذوي المهارة العالية يعملن لوقت أطول فإن تأثير السن يظل العامل الأكثر تحديداً في الحقل إنه بصراحة سؤال عما يمكن أن يؤثر.

يختلف سعر ساعة العمل تبعاً للمزرع ونوع الثمار التي تحصد وموعد الحصاد ومهارة العامل فالاجور مرتفعة في وتسنفيل وسالينس أكثر من جنوب كاليفورنيا بسبب بعد المسافة عن المكسيك والمزارعون الذين يزرعون ثمار عالية الجودة تسوق طازجة ربما يدفعون ٨- ١٠ دولارات في الساعة وفي ذروة الموسم عندما تكون الثمار كثيرة يدفع المزرع ١,٥ دولار للصندوق عندها قد يربح العامل الأكثر سرعة أكثر من ١٥٠ دولار في اليوم لكن الأجور لا تصل إلى هذا المستوى سوى شهر أو أكثر قليلاً أما باقي الموسم فمعظم العمال لا يمكنهم الحصول على ذلك الأجر فعندما تعمل مجموعة من العمال من ٣٠ فرد بالانتاج فإن ثلاثة أو أربعة يحصلون على ١٠ دولارات في الساعة وخمسة أو ستة سوف يحصلون على

الحد الأدنى للأجر في الولاية والبالغ ٦,٧٥ دولار في الساعة والباقي سيحصلون على أجرهم بين هدين المعدلين .فتوافر العمل وليس الأجر هو المقياس الذي يعتمد علية العمال المهاجرين وبالرغم من ظروف العمل الصعبة فإن الكثيرين منهم لديهم الرغبة في العمل في جمع الفراولة فالخوف من البطالة يتصيد كل العمال الزراعين في كاليفورنيا اليوم فكل حصاد يجلب المزيد من المكافحين من أجل عمل يجلب لهم دخلاً محترماً . أن معظم المهاجرين يقضون نصف عامهم يعملون والنصف الآخر يبحثون عن عمل [٣٣].

وهناك معضله أخرى هي البحث عن مكان للنوم فتكاليف السكن في منطقتي سانتاكروز ومنترى هي الأعلى في البلاد فالمنطقة تجتذب أيضاً السائحين والأثرياء المتقاعدين ومتنزهين من وادي السيلكون أما سكان منطقتي وتسنفيل وسالينس فهم معنيون بحماية الاقتصاد الزراعي على الرغم من الضغوط الهائلة التي يمارسها عليهم المستثمرين فالأرض الزراعية تباع بـ ٤٠ ألف دولار للإيكر وقد تباع بأضعاف ذلك لو قسمت إلى مناطق فهناك حقول فراوله تطل على المحيط الهادي لكن تحقيق هدف الحفاظ على الأرض الزراعية لا يتأتى ببناء المزيد من المخيمات لايواء العمال الزراعيين . منذ عام ١٩٨٠ [٣٤] تضاعفت الأراضي المخصصة لزراعة الفراوله في منطقة وتستنفل وسالينس أكثر من ضعفين كما تضاعفت رسوم الشحن على الفراوله المنزرعه في هذه المنطقة اربعة اضعاف لكن تدفق العمال المهاجرين مكن المزارعين من جمع هذه الثمار وعزز قدرتهم على المنافسة حتى في المناطق التي يسكنها ذوي الدخل المحدود والتي لم تكن ملائمة لعقود طويلة مضت . إن المعسكرات القليلة المتبقية لإيواء الرجال العازبين هي أماكن مزرية وقد زرت واحداً منها وكان عبارة عن مجموعة مباني مطلية باللون الأبيض محاطة بسياج وأسلاك شائكة كان المكان حرباً مقفراً إلا من شجرة

وردأمام مكتب المدير فالمكان يبدو كأنه حظيرة أو مكان لحجز المسجونين وعلى مقربة منه يوجد معسكر آخر يعتبر واحداً من أفضل أماكن إيواء العمال فالحوائط داخل التكنات كانت مطلية حديثاً والأرضيات الخرسانية نظيفة وتبلغ ابعاد الغرفة حوالي ١٢ قدم طولاً وعشرة أقدام عرضاً ولا توجد وسائل للتدفئة وتتسع الغرفة لأربعة رجال . الأسرة المعدنية عليها ألواح رقيقة من الخشب وتبلغ كلفة الأقامة فيها ٨٠ دولار في الأسبوع وهذا الثمن مرتفع جداً بالنسبة لمعظم المهاجرين رغم حصولهم على وجبتين وسرير كما يوجد حظيرة لإيواء الخيول والعربات .

إلا أن المعسكرات تلك مفضلة دائماً لمن يختار من ذوي الأقامة المؤقته فعندما يمكث المهاجرين فترة طويلة في مكان ما يتحتم عليهم الاشتراك في أمور معيشتهم . في واتسفيل يعيش ثلاثة أو أربعة أسر في منزل صغير سبعة أو ثمانيه أفراد في كل غرفة . بعض المهاجرين يدفعون شهرياً مائة أو مائتي دولار للنوم في جراجات في أي مكان مع عدد من الأشخاص يتراوح من أربعة إلى عشرة وفي دراسة أجريت في جراجات بلدة سولدد وجد أن في ١٥٠٠ شخص يبيتون فيها وهذا الرقم يقترب من ثمن سكان هذه البلدة وأثناء الحصاد تصبح أزمة السكن حادة جداً فأحياناً يدفع المهاجرين لمعسكرات إيواء العاملين مقابل نومهم في مرآب السيارت أما المهاجرين الجدد الذين ليس لهم أسر في المنطقة ولم يتعرفوا على الوضع عادة ينامون في العراء وفي مخازن الأخشاب منتهكي الخصوصية يبحثون عن مكان يختبئون فيه كل ليلة وعلى سفوح التلال المطلة على واد سالينس يوجد المئات من العمال يبيتون [٣٦] في الكهوف .

**قبل الاستقلال :-**

أن تاريخ الهجرة في منطقة جواد لوب بولاية كاليفورنيا يمكن قراءته في الأسماء والوجوه التي تعلو شواهد القبور في المقبرة الصغيرة فألقاب المهاجرين السويسريين والإيطاليين والبرتغاليين لا تزال عائلا تهم في وادي سانتا ماريا تحملهما وقد عاشوا في القرن الماضي يزرعون البقوليات وينجر السكر ويرعون الماشية ويربون القطعان من الحيوانات المستأنثه وهناك أسماء ليابانيين وصينيين و فيليبينين ممن ينتمون إلى موجة الهجرة الأولى أتى بعضهم لامتلاك الأرض . إلا أن الألقاب الأسبانية تبقى هي الأكثر وتتميز قبورهم بوجود الزهور البلاستيكية وصور القديسين وهناك عاده منتشرة منذ أجيال في جواد لوب وهي أن معظم شواهد القبور تحمل صور اصحابها وعند السير داخل المقبرة يمكن للمرء ان يلحظ لأول وهله الفروق العرقية البسيطة والاختلافات الدقيقة في لون البشرة رغم اختلاف الاوضاع الاقتصادية وحالة المنافسة والآن أخذت كل هذه الوجوه نفس المنحى ونفس الاتجاه واصبحت كالمحاصيل المنزرعة متراصه في صفوف طوليه.

كان لدى وادي سانتا ماريا اقتصاد زراعي متنوع معظم سنوات القرن العشرين وبالرغم من الحضور الموسمي الكثيف للمهاجرين إلا أن المنطقة افتقدت المزارع الضخمة ذات الطابع الصناعي والتي تضورها المناظر الطبيعية واللوحات في كاليفورنيا في كل مكان. لقد كرست الأراضي الزراعية حول منطقة جوادلوب لزراعة المحاصيل والمراعي بشكل أساسي وكانت هناك عائلات تقوم على رعي القطعان وتربية الماشية المملوكه لها أما الفاكهة والخضراوات على أهميتها فقد احتلت جزءاً ضئيلاً من الأرض الزراعية .

ومنذ مطلع السبعينات وحتى نهاية الثمانينات من القرن الماضي تغير وادي سانتا ماريا فقد تضاءلت مساحة الأرض المخصصه للمحاصيل الحقلية والمراعي وتحولت المزارع إلى إنتاج المحاصيل مرتفعة القيمة والتي لا تتطلب الكثير من العمل الزراعي كما بيعت الكثير من الأرضي لجهات لا تعمل في المجال الزراعي من قبل موبيل والبنك الأمريكي وتحولت المراعي إلى حقول لزراعة الفراولة وبعضها اكتشفت به أبار للنفط وارتفع عدد العمال المهاجرين في عام ١٩٦٠ كان ١٨٪ من سكان منطقة جوادلوب لاتينيين والآن أصبحو [٣٧] ٨٥٪ من السكان أما سكان الطبقة الوسطى التي فرت إلى بلدة سانتا ماريا القريبة فهم يعيشون تحت وطأه الحياة الريفية القاسية.

لقد مضى خوان فيسنت بالرم العقدين الأخيرين في دراسة التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في وادي سانتا ماريا وقدد أصبح بالرم وهو الاستاذ بمعهد الدراسات المكسيكية بجامعة كاليفورنيا أنثربيوجياً من خلال تدريبة وممارسته لقد بدأ حياته بدراسة حياة العمال الزراعيين الإسبان الذين ذهبوا إلى شمال أوربا بموجب اتفاقيات للعمل في المصانع والمزارع وهو شخص منظم ذو لحية رمادية كلحية البطريريك ولدية نظرة ثاقبة ليس فقط في ديناميكية سوق العمل ولكن فيما يخص كل محصول من حيث زراعته وتعبئة وتسويقة وقد قضيت يوماً مع بالرم وتلميذه مانولو جونزلز الذي ظل لمدة عام يعمل في جمع الفراولة كجزء من دراساته البحثية ركبنا السيارة معاً في شوارع جوادلوب وطفنا بالحقول وناقشنا كيف تعاون مزارعوا كاليفورنيا وريفيو المكسيك في خلق اقتصاد زراعي بالأعتماد على بعضهم البعض .

وبالاعتماد على المهاجرين المكسيكين الفقراء اسس مزارعو كاليفورنيا نظاماً للأجور كان من شأنه أن أبعد المواطنين الأمريكيين عن العمل في المجال

الزراعي فقد كانت الأجور المدفوعة أثناء الحصاد متدنية جداً ولا يمكنها أن تلبي متطلبات أي أسرة أمريكية لكنها في الوقت نفسه كانت بما يزيد على عشرة أضعاف الدخل لأي أسرة ريفية مكسيكية في قرى المكسيك[٣٨]. لقد أعان نظام العمل المعتمد على القوة العاملة الرخيصة بقوة الاقتصاد الزراعي بكاليفورنيا كما أمكنه الحفاظ على المجتمع الريفي المكسيكي من الأنهيار من خلال التحويلات المالية التي ارسلها المهاجرون لأسرهم. لعقود طويلة كان الرجال المكسيكيون القرويون يسافرون[٣٩] شمالاً إلى كاليفورنيا تاركين خلفهم النساء والاطفال أما من هم أكبر سنا فكانوا يعملون في مزارعهم الصغيرة أثناء غيابهم إن هجرة العمال للعمل في كاليفورنيا امتصت الزيادة من سوق العمل المكسيكية بينما كانت المكسيك متأثرة من جراء دفع تكاليف التعليم والرعاية الصحية وصناديق التقاعد لعمال كاليفورنيا الزراعيين.

ومتى أراد المهاجرون الاستقرار في كاليفورنيا فإن الغلاء والاستغلال وارتفاع مستوى المعيشة في الولاية يلتهم دخولهم التي يفرضها عليهم نظام العمل خصوصاً إذا تزوجوا وانجبوا أطفالاً ذلك أن ادارة الهجرة والجنسية ( INS ) دأبت على تجميع وترحيل المهاجرين بمجرد أنهاء موسم الحصاد في كاليفورنيا إلا أن الملايين من عمال الزراعة المكسيكيين استقروا في الولايات المتحدة لسنوات طويلة ومعظمهم اصبحوا مواطنين امريكين وبالرغم من كون العمل الزراعي ظل مرادفاً لفترة طويلة لدخول المجتمع الأمريكي فإن انخفاض الأجر وتدهور ظروف العمل خلق رغبة في الفرار لدى العمال وأولادهم إن العمل الزراعي يتطلب مجهوداً عضلياً كبيراً ويدر دخلاً هو الأقل مقارنه باي عمل آخر وقد يجد المهاجر أو المهاجرة عملاً في مصنع يدر عليه دخلاً يقدر بثلاث أضعاف دخله فيما لو عمل في الزراعة ولذلك يعتمد النظام الزراعي كلية على مهاجرين غير شرعيين لكي يحافظو

على هذا المستوى المتدني من الأجور ويعوضوا العجز الذي يتركه المهاجرين الذين يعودون إلى المكسيك أو من يجدون عملاً في كاليفورنيا .

يعتقد [٤٠] خوان بالرم أن عدد المهاجرين لم يتضاعف فقط وأنهم ليسوا دائمي التنقل بين الولايات المتحدة والمكسيك جيئة وذهاباً فحسب بل إن بعضهم استقر في كاليفورنيا . ذلك أن بعض بلدان الولاية مثل جوادلوب وكاليكسيكو وكولتر اصبحت محاطة بمناطق ريفية فقيرة وفي وادي سانتا ماريا ادت الزيادة المتنامية في أنتاج الفواكه والخضروات وامتداد الموسم الزراعي إلى خلق فرص عمل ذات دوام كامل ووقت إضافي للعمال الزراعيين فحقول البركولي * التي تحتل الآن نحو ٢٠ ألف إيكر تحتاج إمداداً كثيفاً بالعماله لحصادها الذي يستمر موسمه طوال السنه كما أدت الزيادة في انتاج الخس والقنيط إلى زيادة فرص العمل ذات الدوام الكامل إن العمال المقيمين في الوادي ربما يشكلوا [٤١] ٤٠٪ من إمدادا العمالة المطلوب به فالعديد من العمال الزراعين اليوم لديهم منازل لكن حقول الفراولة خلقت حاله من الفقر لدى آلاف العمال الذين يعيشون في المنطقة. ١٢٪ فقط من قوة العمل في حقول الفروله يمكنهم الحصول على فرصة عمل على مدار السنة كما أن الفلاحة والعمليات الزراعية التي تتطلبها الفاكهة تحتاج قدراً من العمل والعمال يزيد على ٢٥ ضعف [٤٢]نظيرة بالنسبة للبركولى ذلك إنتاج الفراولة يحتاج كماً من العمل يفوق نظيرة في أي محصول خضر يزرع في المنطقة. إن معظم العمال الذين يعملون في حصاد الفراولة يأملون في الحصول على فرص عمل في حقول الخضروات المجاورة حيث الأجور أعلى والعمل أقل مشقة كما أن نسب التقلب هي الأعلى في سوق العمل الخاص بالفراولة إلا أنه لا يوجد معوقات في الإمداد بالمزيد من المهاجرين فقد تزايد تعداد سكان المناطق

* البركولى : نوع من الخضروات يشبه القنيط . المترجم .

الريفية [٤٣] بالمكسيك لأكثر من ثلاث أضعاف منذ الأربعينات هذا بلغة الأرقام المحددة ويقول بالرم إن أعداد الريفيين بالمكسيك الآن هي الأعلى منذ أي وقت مضى.

منذ ربع قرن مضى أوضحت كتابات الاكاديميين أن اقتصاد كاليفورنيا الزراعي على ضخامته واتساع رقعة الاراضي المنزرعه به والتنظيم الفائق للعمليات الزراعية فيه وبنائه المتماسك وانخفاض مستوى الأجور فيه وعمالته الوافده كان اقتصاداً متفرداً واستثنائياً ذلك أننا أمام حقيقة وهي أن جنوب أسبانيا أخذاً في التحول إلى كاليفورنيا الأوربية فهو يستعين بنفس التقنية لأنتاج محاصيل مرتفعة القيمة ويعتمد على مهاجرين غير شرعيين قادمين من شمال إفريقيا كما تبنت مناطق جنوب إيطاليا وجنوب فرنسا نفس الأسلوب كما تقوم المكسيك وجواتيمالا وشيلي بمساعدة زئرين أجانب بخلق اقتصاد زراعي مناظر لذلك الموجود في كاليفورنيا في مناطق أمريكا اللاتينيه منتجين محاصيل تجد طريقها للمنافسة داخل الولايات المتحدة . إن التطور الحادث في أساليب النقل وتكنولوجيا التبريد خلق سوقاً عالمية وساعد المناطق التي كانت في السنوات الماضية غائبة عن حقل التصدير ويعتقد خوان فيسنت بالرم أن زراعة الفواكه والخضروات المعدة للتصنيع سوف تتقلص أو تختفي من كاليفورنيا لتستقر في المكسيك حيث العماله الرخيصة جداً وسوف تنتج المكسيك الخضروات المجمدة التي يتم تناولها في العشاء أثناء مشاهدة التلفاز بينما يقوم منتجوا كاليفورنيا بتقديم الخرشوف والبروكولى والفراولة والاسبرجس لسوق الفاكهة الطازجة فحصاد هذه المحاصيل لا يمكن بسهولة إجراؤه باستخدام الميكنه فقيمتها المرتفعة تتطلب مواصفات جوده عالية من حيث المظهر. ذلك

أن أزدهار الاقتصاد الزراعي بكاليفورنيا يعتمد على السماح للريفيين المكسيكين بدخول البلاد وعدم منعهم من ذلك .

إن معظم العاملين في حقول الفريلة في سانتا ماريا هم مكسيكين وبعض الفقراءوالكثير من الشرفاء والشجعان في دول الغرب . لقد أدى تعري التربة وانخفاض إنتاجية المحاصيل في المناطق الجبلية بغرب أوكساكا إلى تحول المكسيكين إلى عمال مهاجرين وطبقاً لرأي البروفسور مايكل كيرني استاذ الأنثربولوجي في جامعة كاليفورنيا في ريفرزيد إن خيارهم كان غاية في البساطة فليس أمامهم سوى الهجره أو [٤٤] الجوع والمكسيكيين الأن هم الأقل أجراً من بين عمال الزراعة في كاليفورنيا . وفي تيجوانا يمكنك أن ترى الزوجات والأطفال من عائلات المزارعين المكسيكيين منهم الصغير والجميل وذو البشرة السمراء يرتدون الزى المكسيكي بألوانه الزاهية كالذي يلبسونه في قراهم وهم ويبيعون الحلوى للسائحين في الشوارع .

لقد حدث تهجين واتصال وثيق بين كل العمال المكسيكين تقريباً وسكان ولاية كاليفورنيا حتى السبعينات من القرن الماضي فالمهاجرين الجدد يواجهون تحديات غير عادية من قبل العمال الموجودين . وبالاضافة إلى اللهجات الاثنين والتسعين الموجوده بالمكسيك هناك على الأقل نصف دسته أخرى من اللغات الكولبية يتحدثها سكان منطقة أوكساكا وربما أن واحداً من بين كل خمسة عمال [٤٥] مكسيكيون يتعرض للسطو ويصبحون ضحايا للمجرمين وقطاع الطرق ففي وسط مكسيكو يتعرضون للابتزاز ودفع الرشوة وفي تيجوانا يصبحون ضحايا للمهربين والمغتصبين واللصوص وفي صحراء ساندبيجو يعانون الويلات لكي يتمكنوا من اجتيازها والآن يموت اثنين [٤٦] أو ثلاثة من المهاجرين أسبوعياً أثناء محاولتهم العبور من جراء ما يتعرضون له في العراء.

في جوادلوب يشعر العمال الزراعيون المقيمون بالامتعاض إزاء المهاجرين الجدد من أكساكا . لقد دأب المهاجرين غير الشرعيون على تلافي عبور مفارز الأمن في الثمانينات لكي يحولوا انتباه اتحاد العمال الزراعين ( UFW )عن الوادي ونظراً للتضخم فقد انخفض مردود ساعات العمل كما ارتفعت نسبة البطالة فأصحاب الأعمال الأن يفضلون المهاجرين غير الشرعيين إذ تكون أجورهم أقل واعتراضاتهم على ظروف العمل أقل من المقيمين الشرعيين في وقت الحصاد يرتفع تعداد سكان جوادلوب البالغ ٥٧٠٠ نسمه بمقدار الثلث تقريباً وتتزايد متطلباتهم من الخدمات وقد اكتشف تلاميذ بالرم من الباحثين ٢٢شخص يعيشون في شقة صغيرة من غرفتين.

وبالرغم من مشقة الرحله ووعورتها فإن المسكيكيين بأملون في مساعدة ذويهم القرويين وذلك بتمسكهم وإصرارهم على الحصول على عمل في كاليفورنيا فالأجور في أكساكا حوالي دولارين أو ثلاثة يومياً وفي حقول الفراولة في باجا بكاليفورنيا فيبلغ حوالي خمسة دولارات يومياً أما في وادى سانتا ماريا فقد يحصل المهاجر المكسيكي على عشرة دولارات في الساعة أثناء ذروة موسم حصاد الفراولة وربما يربح المهاجر أو المهاجرة عن عمل يوم في كاليفورنيا أكثر مما يربحه فيما لو عمل شهراً كاملاً في بلده .

## الاعتماد على المحن:-

في عام ١٩٥١ شجب رئيس وكالة العمل والهجرة الأوضاع المزرية التي يعيشها المهاجرين غير الشرعيون الذين يعملون في الولايات المتحدة .في ذلك الوقت كان العمال يعيشون في البساتين وقنوات الري لقد كانوا يعيشون في خوف دائم من احتمال العثور عليهم ومعاملتهم كالهاربين وكانوا يستغلون عادة من قبل مستخدميهم الذين لم يكونوا ليوفرا لهم ظروف عمل آمنه كما كانوا

يقتطعون من أجورهم أو يوقفون صرفها فجأة مع عدم اكترثهم بامكانية بقيام هؤلاء باسترد حقوقهم أو الثأر من أجلها .

في كثير من الأحيان وكما قالت وكالة الهجرة كانت حياة هؤلاء المهاجرين " عملاً بالسخرة " وقد اكدت الوكاله أن ٤٠٪ من العمال المهاجرين أو ما يقدر بحوالي ٤٠٠ ألف على الأقل هم مهاجرين غير شرعيين وأن تواجدهم بهذه الكثافة تسبب في تدني الأجور لكل العمال الزراعين وهناك حقيقة لاجدال فيها هي أن المهاجرين غير الشرعيين بدأو في إحلال محل العمال المقيمين أو المولودين بالبلاد ليس فقط في مجال العمل الزراعي ولكن أيضاً في أعمال البناء والانشاءات وقد رأت الوكاله أن الأسلوب الوحيد للحد من تدفقهم هو إنزال عقوبات رادعة بالمزعين الذين يستخدمونهم ويستغلون وجودهم كالسجن أو فرض حظر على أي شحنة تحتوي سلعاً ثم حصادها باستخدام مهاجرين غير شرعيين وفي تصريح صدر عن الوكالة " إننا نعتمد على المحن في بناء قوة عمل من العمال المهاجرين وعندما ينخفض امدادنا منهم من جراء عدم كفاية المحن في البلاد فإننا نعتمد على محن في الخارج حتى يمكننا سد هذا النقص.

وقد تجاهل الكونجرس تصريحات الوكاله ولعقدين تليا ذلك كان وجود المرء في أمريكا كمهاجر غير شرعي يعد جريمة ولكن تشغيله أو استغلاله لا يعد كذلك وفي عام ١٩٨٦ مرر الكونجرس قانون تنظيم الهجرة ( IRCA ) والذي احتوى على مدى واسع من العقوبات ضد من يقومون باستخدام المهاجرين غير الشرعيين لكن هذه العقوبات لم تطبق فهناك حوالي مليون شخص في ولاية كاليفورنيا يعملون لدى أشخاص بشكل سري ويوجد حوالي مائتي مراقب فيدرالي يعملون على اكتشاف اماكن العمل التي تخرق قوانين الهجرة غير أن العقوبات الفيدرالية التي توقع على من يستخدمون مهاجريين غي شرعيين هي

عقوبات هينه وغير رادعه فعقوبة من يرتكب مخالفة تشغيل مهاجر غير قانوني للمرة الأولى هي تغريمة ٢٥٠ دولار وللمرة الثالثة ثلاثة ألاف دولار.

ولكي تحد وكالة ( IRCA ) من الهجرة غير الشرعية قامت بتشجيعها استجابة لمطالب المزارعين إذا أن القوانين الجديده سوف تخلق عجزاً في سوق العمل الزراعي وقد تضمنت الوثيقة الصادرة من الكونجرس بنداً يستفيد منه المهاجرين غير الشرعيون الذين يقدموا إثباتاً يفيد بقيامهم بالعمل كعمال زراعيين في العام السابق ولم تتضمن ذلك بالنسبة للآعمال الأخرى وقد أيد عضوان في الكونجرس من ولاية كاليفورنيا هما ليون بانيتا وباتي ويلسون برنامج العمل الزراعي الخاص ( Special Agricutiure Work ( SAW الذي كان من المتوقع أن يمنح كاليفورنيا ٣٥٠ألف مهاجر غير شرعي بدلاً من ١,٣ مليون [٤٧] وهذا الرقم يساوي تقريباً سدس الذكور البالغين في الريف المكسيكي الذين سوف يستفيدون من هذا العفو أو الامتياز ومعظمهم يحمل وثائق مزورة وهذا في حالة حدوثه سوف يكون بمثابة خدعه [٤٨] تحدث بموجبها أكبر عملية هجرة في التاريخ الأمريكي .أكثر من مليون شخص سوف يحصلون في النهاية على وضع قانوني لبقائهم والكثيرين سوف يصطحبون فوراً وبشكل غير شرعي زوجاتهم وأولادهم . ومن أجل تقليص حجم العماله الزراعية سوف تتكفل وكالة الهجرة ( IRCA ) بأي زيادة أو أمداد جديد بالعمال . البطاقات الخضراء Cards Green وبطاقات العمل الخاص وتراخيص القيادة وشهادات سبق العمل أو تاريخ العمل يمكن الحصول عليها مزورة في ريف كاليفورنيا مقابل ٥٠ دولار وتستغرق هذه العملية حوالي ساعة .

والآن يعيش حوالي سبعة او ثمانية [٤٩] ملايين مهاجر في الولايات المتحدة نصفهم [٥٠] تقريباً من المكسيكيين إذ يطالب البعض من محاميهم ومن يدافعون

عنهم بحصول الملايين منهم على امتيازات جديدة كالبطاقات الخضراء أو حق المواطنة ويفضل مزارعوا كاليفورنيا تشغيل عمالهم من خلال برنامج تشغيل المهاجرين الجدد فهو سوف يعزز وضع العمال المهاجرين من خلال عملهم في إطار موافقة دولية كما يضمن لهم الحصول على الأجر وظروف المعيشة الملائمين وعودتهم إلى المكسيك في نهاية موسم الحصاد وقد دافع الرئيس المكسيكي فيسنت فوكس أيضاً عن خلق برنامج يضمن تنظيم الهجرة بين البلدين وقد بادرت الادارة الأمريكية بمسعى في هذا الصدد سمي برنامج براسيرو في الفترة من ١٩٤٢ - ١٩٦٤ ومن تضمنهم هذا البرنامج أو من دخلو الولايات المتحدة بموجبة كانوا ينقلون بين حظائر أو اسطبلات ضخمة على الحدود بانتظار حصولهم على عمل تعلق ارقاماً في اعناقهم ويجردوا من ملابسهم ثم يرشوا بمحلول مطهر قبل السماح لهم بالمرور إلى أمريكا ويذكران مجموعة ممن انتقلوا إلى أمريكا من خلال ذلك البرنامج كانوا كلهم ضعافاً جداً وتم إرسالهم إلى واحد فقط من أصحاب العمل لقد انتهى برنامج البراسيرو في غمرة الأوهام والوشايات وتعرض من جلبوا بموجبه لاستغلال واسع النطاق . ويوافق المؤرخون على أن البرنامج اسس شبكة معلومات محلية خاصة بأساليب الهجرة كإستجابة للموجات المتلاحقة من الهجرات غير القانونية وفي الحقيقة أنه أثناء وجود البرنامج[٥١] كان هناك دائماً مهاجرون غير شرعيون أكثر من أولئك الذين يوظفون من خلال البرنامج في القطاع الزراعي الأمريكي .

وبالرغم من كل هذه الحقائق فإن خوان فيسنت بالرم[٥٢] يرى أنه من غير الوارد لديه أن يدعم أو يقدم الرعاية لبرنامج جديد للعمال الوافدين فهو لم ينخدع بمثل هذه الإجراءات وقد كان شاهداً على اساليبهم في أوربا الغربية في الستينات، على نجاحهم وفشلهم الزريع .إن رغبته في اعتماد برنامج جديد للعمال الوافدين

اليوم يعتمد على اساس برجماتي فالظروف المعيشية للمهاجرين في كاليفورنيا اليوم اصبحت بالغة السوء والمخاطر التي يعانون منها أثناء عبورهم الحدود شديدة القسوة ذلك أن بالرم يشعر حالياً أنه لا بد من عمل شيء في الحال إن إعداد برنامج للعمال الوافدين من دون حل هو على الأقل أول خطوة على الطريق. لقد أتاحت اتفاقية التجارة الحرة لشمال أمريكا حرية كبيرة في الحركة لرؤس الأموال الأمريكية عبر الحدود دون أن توفر أقل قدر من الحماية القانونية للعمال المكسيكين المهاجرين ويعتقد بالرم أن برامج تشغيل العمال الوافدين ربما تتيح لهم بعض من حقوقهم الأساسية التي لا يتمتعون بأي منها حالياً حتى لو أستمر تدفق الهجرة غير الشرعية جنباً إلى جنب مع الهجرة المنظمة فإن هؤلاء العمال لن يكونوا بأي حال مضطرين للعيش في الحضيض.

أما مناوئي برامج تشغيل العمال الوافدين فيرجعون اسباب رفضهم إلى مبادئهم ومعتقداتهم وقد صرحت كل من سيدني وينتروب وستانلي رزوهما من جامعة تكساس بأن برامج تشغيل الوافدين هي كلمة حق يراد بها [٥٣] باطل أو هي تعبير لطيف عن عملية استغلال للعمال . إن برنامج تشغيل الوافدين يتضمن اساساً قانونياً لفكرة المواطنه من الدرجة الثانية في الولايات المتحدة إنه يقود إلى خلق مجموعة من الناس ذوى حقوق محدوده وبمعزل عن الاعتراضات الفلسفية التي ربما تتزايد فإن البعض ينادون بوقف هذه البرامج ويقول أحد الاقتصاديين " إن العماله المؤقته هي[٥٤] أكثر الأشياء دواماً " وقد توقفت برامج تشغيل الوافدين في أوربا لإن أعداد كبيرة من الجزائرين والمغاربة والأتراك فضلوا البقاء في أوربا عن العودة إلى بلادهم.

لقد كان المكسيكيون هم عماد قوة العمل الزراعي [٥٥] في كاليفورنيا والجنوب الغربي إلا أنهم بدأو في الهجرة والتنقل داخل الولايات المتحدة فالعمال

الـزراعيين المكسـيكين ومعظمهـم مهـاجرين غـير شـرعيين يعملـون الأن في حصـاد التـوت في أوريجـون وفـرز الـذرة في أيـوا وفي حصـاد التبـغ في فرجينيـا والعنايـة بالنباتـات في مشـاتل نيوجرسـي وهـذه الأسـاليب اتبعـت لفـترة طويلـة في تشـغيل المهـاجرين غـير الشـرعيين في كاليفورنيـا والآن يـتم الاسـتعانه بوسـطاء أو سماسـرة تشـغيل لاسـتخدام هـؤلاء في تصـنيع اللحـوم وأعمـال البنـاء وكبـوابين وخـدم وفي صـناعة الملابـس . والأن تعمـل الغالبيـة العظمـى مـن المهـاجرين غـير الشـرعيين في كاليفورنيـا في أعمـال غـير زراعيـة ويـأتون مـن منـاطق كـثيرة عـبر المكسـيك منهـا منـاطق حضـرية كمدينـة مكسـيكو. ويعتقـد مايكـل كيرثـي أن سـكان بلـدة شـيباس المحلـيين سـوف يمتزجـون قريبـاً بالمكسـيكيين يتـدفق الهجـرة . لقـد عـارض منظمـو اتحـاد العمـال الـزراعيين البرنـامج الجديـد لتشـغيل الوافـدين بينمـا يتسـائل آخـرين لمـاذا يتحـتم علـى الحكومـة أن تلعـب دور الوسـيط أو سمسـار التشـغيل في الاعمـال الزراعيـة فـبعض الصـناعات والاعمـال غـير الزراعيـة تتـوق إلى العمالـة الرخيصـة مثـل الفنـادق ومطـاعم الوجبـات السـريعة ومصـانع تغليـف اللحـوم وهـم سـوف يسـتفيدون مـن برنـامج تشـغيل الوافـدين . ويـرى معارضـوا هـذا البرنـامج أن الأمـداد بمزيـد مـن العمـال لـيس ضـرورياً طالمـا بقـى الكـثيرين مـن الفقـراء المكيسـكين الموجـودين في الولايات المتحدة يصارعون من أجل الحصول على عمل.

ويعتقـد فيليـب مـارتن الـذي عمـل لأربعـة سـنوات عضـواً في وكالـة العمـل الزراعـي وهـي مجموعـة مفوضـة مـن قبـل الكـونجرس طبقـاً لقـانون الهجـرة المعـدل ( IRCA ) أن أفضـل الطـرق لتحسـين الأوضـاع المعيشـية للعمـال الـزراعيين هـو دعـم وتـوفير فرصـاً وظروفـاً أفضـل للعمـل وقـوانين الهجـرة .إن تهـاون الادارة الفيدراليـة تسـبب في خلـق قـدراً هـائلاً مـن التـدهور في أوضـاع مزارعـي الفواكـه والخضـروات . ذلـك أنهـا تسـببت في نشـوية اقتصـاد هـذه الصـناعة ويقـول مـارتن إن المـزارعين

يستفيدون من العماله الرخيصة في المدى القصير [٥٦] لكنهم يبقو بعيدين عن استخدام التكنولوجيا المتطورة التي تمكنهم من منافسة المنتجات الأجنبية على المدى البعيد ة والتي وجدت طريقها هي أيضاً إلى إيجاد عماله رخيصة ولقد تحملت الولايات المتحدة لوقت طويل عبء تشغيل المهاجرين غير الشرعيين في القطاع الزراعي ويعتقد مارتن أن سوق العمل الزراعي سيستمر بالدوران في هذه الحلقة حيث ينتقل عمال الزراعة إلى أعمال أفضل ليحل محلهم مهاجرين غير شرعيين إننا نفتقد وجود سياسة للهجرة في هذا البلد ولقد تركنا هذا الأمر بيد مزارعي كاليفورنيا .

يعتقد جوكين [٥٧] أفيلا الرئيس السابق للصندوق المكسيكي الأمريكي للدفاع القانوني والتعليم أن الفرق بين كون العمل الزراعي قانوني أو غير قانوني يكون عند هذه النقطة أقل أهمية من مستوى الأجور التي تدفع . إن العلاقة التي أوجدها سوق العمل المعتمد على أمريكا والمكسيك والتي نشأت في عقود لا يمكن قطعها بين عشية وضحاها . وإلى أن يحد النمو الاقتصادي في المكسيك من الهجرة باعتبارها مطلب حتمي لا بد من دفع الولايات المتحدة إلى التأكد من أن كل العاملين بها بغض النظر عن جنسيتهم يتلقون أجوراً مجزية ويحمون من الاستغلال .

وبالرغم السياسات الكثيرة الموجهة نحو عمال الزراعة فإن السيناريو الأكثر تفضيلاً على المستوى الفيدرالي هو عدم فعل أي شيئ . لقد كان مأزق [٥٨] المهاجرين ولأكثر من قرن من الزمن من أولويات السلطة الرئاسية والبرلمانية وحتى الأن لم تحدث تغيرات جوهرية . فالمزارعون لايزالوا يمتلكون الكثير من التأثير السياسي الذي لا يملكه العمال الزراعيون باستثناء قدر قليل من الانتباه الذي يوجه إليهم كل بصعة عقود . أما الامريكيين فقد قابلوا الموضوع برمته بشكل

مختلف فالإنتاج المحلي الطازج قليل الكلفة نتيجة لذلك لكن ليس كثيراً . كما أن دوام هذا المستوى من الفقر بين [٥٩] العمال الزراعيين المهاجرين يوفر على الأسرة الأمريكية نحو ٥٠ دولار في السنة .

في ربيع عام ١٩٩٦ بدأ تحاد العمال الزراعيين في تنظيم حمله في حقول الفراولة بولاية كاليفورنيا دعمها إتحاد العمال الأمريكي AFLO- CIO بملايين الدولارات وخلال حركتها في واتسونفيل اكتسبت ١٢ ألف مؤيد وكان شعار مجلة حقول الفراولة هو "العدل مقابل خمسة سنتات" Five Cents For Fairness فلو أن المزارع أضاف خمسة [٦٠] سنتات علي تكلفة كل بنت Paint من الفراولة وأعطاها لعماله فإن أجور المهاجرين سوف ترتفع بمقدار ٥٠٪ لكن المزارعون لم يحبذوا الفكرة. وعندما صوت العمال في العام السابق لصالح التحالف مع اتحاد العمال الزراعيين في فنتيورا فكان رد المزارعين بإزالة جزء من الحقل علي الفور ومن ثم انتهت العملية كلياً في نهاية الموسم وأصبح العمال في ورطة واضطروا للتوسل لكي يحصلوا علي الأجور السابقة. لقد اكتسبت حملة اتحاد العمال الزراعيين شعبية واسعة علي مستوي القطر اما المزارعين فقد انتهجوا منهجاً أكثر دقة واستعانوا بجماعة الدولفين Dolphin Group في لوس انجلوس لإظهار الأوجه الإيجابية والنبيلة لهذه الصناعة.

لقد كان عمل هذه الجماعة لسنوات مقصوراً علي مرشحي الجناح اليميني الجمهوري وقضاياهم كما صنعت شخصاً سيء السمعة وهو ويلي هورتون وساعدت في هبوط شعبية آخر هو المرشح الرئاسي مايكل دكاكيس كما شاركت في خلق جماعة زائفة مناهضة للتدخين تسمي كاليفورنين [٦١] من أجل الحد من التدخين Californians For Statewide Smoking Reslrictions في حين يحصلون علي المال من فيليب موريس ومصنعي التبغ كما شكلت مجموعة زائفة

أخرى لعمال مزارع العنب سميت "عمال [٦٢] مزارع العنب وتحالف المزارعين" Grape Workers and Formers Coatitions وكانت تتلقي أموالاً من منتجي العنب في كاليفورنيا وكذلك في عام ١٩٩٦ شكلو مجموعة سميت عمال الفراولة واتحاد [٦٣] المزارعين Strawbeery Workers and Formers Alliance تلقت أموالاً من منتجي الفراولة وقد بدأت هذه المجموعة حركتها من اتسونفيل واستمدت دعمها من الأسقف الكاثوليكي المحلي ونادت بحقوق عمال الزراعة وحقوق الإنسان كما أدعت إن النساء من عضوات اتحاد العمال الزراعيين قاموا بحث العمال المهاجرين علي كسب الدعم لصالح الاتحاد.

لقد عجز اتحاد العمال الزراعيين الذي كان مدفوعاً بآماله العريضة عن تحقيق تقدم في حملته من جراء النقد الشديد الذي وجه إليه من قبل المنظمات السالفة الذكر والمدعومة من قبل المزارعين مثل SW & FA ولجنة عمال زراعة الفراولة القدامى ولجنة عمال الزراعة. أما المهاجرين الفقراء الذين لم ينتمو إلي أي اتحاد فقد وجدوا أنفسهم فجأة في مواجهة سلسلة من المجموعات التي تحاول تبوأ موقعها في قلوبهم. وقد وجد منظموا اتحاد العمال الزراعيين أنفسهم عرضة لقاطعي الطرق والسفاحين من المناهضين لحركتهم كما خشى العمال من أن انضمامهم إلي أي اتحاد قد يضعهم في محنة. إن المكاسب الاقتصادية التي ربما يجلبها الانضام إلي اتحاد ما لابد أن ينظر إليها بحذر ذلك أنها ربما تؤدي إلي بطالة مفاجئة. ويسعى اتحاد العمال الزراعيين إلي كسب عقود تشغيل في أكبر مزارع للفراولة في كاليفورنيا وكذلك المزارع المملوكة لكوستال بيري أكبر منتج للفراولة في كاليفورنيا وقد حصل عمال الاتحاد في هذه المزارع علي أجور أفضل وحقوق ومزايا أكثر وعطلات وإجازات مدفوعة وخدمات صحية لأسرهم وبالرغم من استمرار عمل الاتحاد في حقول الفراولة إلا أنه كان يجد صعوبة في تحقيقها.

في سبتمبر من عام ٢٠٠٢ وقع حاكم كاليفورنيا جراي ديفس علي قانون من شأنه أن يعزز موقف اتحاد العمال الزراعيين وتنص مادتي هذا القانون علي وجود وساطة رسمية بين العامل والمزارع في حالة حدوث نزاع بينها أثناء ذلك انضم للاتحاد حوالي ١٦٠٠ [٦٤]عامل من كاليفورنيا ليرتفع عدد أعضائه ممن يعملون في حقول الفراولة إلي ٢٠ ألف.

## الخضوع للسوق:-

قابلت أحد مزارعي الفراولة يدعى دوج ذات صباح في منطقة ساندبيجو جلسنا نتحدث علي عربة في نهاية الحقل المملوك له. لقد أرسل والد دوج وجده إلي معسكرات اليابانيين الأمريكيين أثناء الحرب العالمية الثانية وبعد إطلاق سراحهم اشتري الجد جرار زراعي قديم . في البداية كان يعمل لدي الآخرين ثم استأجر بعض الأرض لم يكن يتحدث الإنجليزية لذلك ظل والد دوج يعامل معاملة الصبيان وقد استفاد من هذا الوضع في عمله ثم تحول مزارعاً الخضر الناجحين ( والد دوج وجده ) إلي مزارعين للفراولة ينتجان الفراولة ويشحناها علي الفور أما المنطقة التي تضم مزرعتهم فأصبح فيها الأن مدرسة ومرآب سيارات لخدمة مواطنيها يزرع دوج الفراولة في أميال قليلة من الأرض ويحيط مزرعته بسياج متصل من الأسلاك الشائكة إن تطوراً هائلاً في العقارات والتي أصبح المئات منها يأخذ الطابع الأسباني بدأ في الزحف نحو الغلال مقترباً من مزارع أصحابها. كما بدا الكثير من مالكي المزارع القريبة في بيع أراضيهم. أما دوج الذي قضى معظم حياته في حقول الفراولة يتعلم كل شيء عن هذا العمل فيما يخص المنتج الأساسي هو الآن ليس متأكداً من أنه يريد لأولاده أن يصبحوا مثله.

فالزراعة برأي دوج ليست عملاً مرموقاً فالمزارعون لا يأخذون وضعاً مميزاً في مجتمعنا والحقيقة أننا محل إزدراء الكثيريين. ومع كل هذه المضايقات من قبل الولاية والجيران فهو أحياناً يسأل نفسه " لماذا أفعل ذلك " فبيع الأرض سوف يجعله غنياً علي الفور فهو قلق من تكاليف الري والسرقة ومن الفراولة التي تأتي من نيوزيلندا والتي رآها في السوق ذات يوم. لقد دمر المطر حوالي ربع محصوله الميكر عندما كان سعر السوق في ذروته وهو لا يفهم سبب الموقف العدائي تجاه مزارعي الفراولة في كاليفورنيا فبعد كل هذه الحماية التي وفرتها الزراعة للأراضي المفتوحة هو يعتقد أن الأمريكيين لا يقدرون كم هم محظوظون لحصولهم علي غذاء رخيص وهو لا يفهم لماذا يقوم شخصاً ما بإعاقة إنتاج الفراولة عن طريق الحد من إمداده بالمهاجرين ويقول دوج "إن عمالي يعملون من أجل أنفسهم" فأنا عملت بجمع الفراولة ودعني أقول لك أنه ليس هناك عملاً شاقاً. أنني احترم هؤلاء الناس فهم يعملون بأجر بخس وأنا أتيح العمل لدي لأي شخص يريده "إن طلاب المدارس الذين يزورون مزارع الماشية قانعون بأن جمع الفراولة هو عمل إضافي جيد يمكن أن يجلب المزيد من المال". " إنهم لا يودون إضاعة ساعة من الوقت هنا " قهالها دوج ضاحكاً.

غادرنا العربة إلي ضوء الشمس الساطع. تحرك العمال إلي نهاية الحقل بأمر مشرفهم. يشعر دوج بالفخر الشديد لكونه مزارعاً من الجيل الثالث فهو ذكي وذو قدر كبير من التعليم والدقة في عمله وهذا يبدو ظاهراً في حقله ولكني أتسأل ما إذا كان دوج وعماله سيبقون في هذا المكان في الأعوام القلية القادمة.

قطف دوج حبة فراولة وأعطاها لي في يدي كانت حمراء قانية متألقة قضمتها كانت غضة وحلوة المذاق فواحة الرائحة بقي مذاقها في فمي.

وفي ذلك المساء قابلت مصادفة بعض عمال دوج. اصطحبني يكاردو سوتو وهو قانوني حديث بإدارة الشئون القانونية الريفية بولاية كاليفورنيا CRLA إلي حافة بستان أفوكادو لزيارة معسكرات إقامة العمال المستترة . إن حوالي ثلث العمال [٦٥] الزراعيين في شمال سانديجيو أي حوالي ٧ آلاف شخص هم بلا مأوي بالإضافة إلي ٩ آلاف آخرين من أفراد أسرهم الكثير منهم يعيشون في العراء فالعجز في المساكن الرخيصة أصبح حاداً في مطلع الثمانينات وبدأت قري الأكواخ في الظهور بعضها يؤى المئات من السكان. وقد حدثت تعديات من قبل بعض الضواحي القريبة ومساكن الأثرياء علي الأرض الزراعية في شمال سانديجو وأصبح عمال حقول الفراولة جيرانهم وفي واحدٌ من قرى الأكواخ الكبيرة التي زرتها رأيت نساء يغسلن الملابس في مجري مائي لا يبعد كثيراً عن مجمع للملاعب التنس وحمامات السباحة ولافتة تقدم وعداً بمجتمع أكثر تعاوناً وترابطاً. لم يرغب سكان الضواحي في العيش بالقرب من العمال المكسيكيين ولتوفير سكان رخيص صرح المسئولون المحليون بوجود إجراءات طارئة للحد من الاستئجار غير القانوني وأزالوا عدد من معسكرات إيواء العمال. وقد ارتاع مزارعوا سانديجو من الظروف المعيشية لعمالهم المهاجرين وقد حاولوا بناء مساكن لايوائهم بالقرب من الحقول نظراً للرفض العنيف الذي أبداه مالكو المساكن المجاورة. وبالرغم من أن قرى الأكواخ قد قللت من قيمة العقارات المجاورة فإن إقامة مساكن دائمة لإيواء العمال قد يقلل من قيمتها أكثر من ذلك وكما أخبرني أحد المزارعين فإن الناس عندما يكتشفون إنك تقوم ببناء ومساكن لعمالك المهاجرين فإنهم سوف يتحولون في الحال إلي قذائف.

تبدوا المعسكرات أو المخيمات الجديدة صغيرة بهدف عدم اكتشافها وعند نهاية أحد الطرق بالقرب من أحد الأسيجة قابلت أحد الشبان المكسيكيين

الذين يعيشون في هذا المعسكر اسمه فرانسيسكو كان في الثامنة عشرة من عمره يبدو وعليه الإنهاك الشديد فهو قد انتهي لتوه من ١٢ ساعة عمل في جمع الفراولة في مزرعة دوج. سألته عن رأيه في دوج كصاحب عمل فرد بأدب "ليس سيئاً".

في العام السابق قام فرانسيسكو بجمع الفراولة من إبريل حتى يوليو وتمكن من كسب ٨٠٠ دولار في هذه الفترة ارسلها جميعها إلي والدته ووالده في قرية سان سبستيان تيكوماكستلاهوكا. كان هذا هو الموسم الثاني لفرانسيسكو في الحقول لكنه لم يري الكثير من منطقة سانديجو.

لقد كان خائفاً جداً من أن يقبض عليه. كان يقضي يومه في المزرعة وليلة في المعسكر ويقوم بجمع الفراولة ستة أيام في الأسبوع وأحياناً يعمل من ٧-١٢ ساعة يومياً. يقول فرانسيسكو "عندما يكون هناك عمل لابد أن تعمل" فهو يستيقظ كل صباح في الرابعة والنصف ويمشي نصف ساعة ليصل إلي مزرعة دوج. عند الغسق اقترب منا ثلاثة عشر رجلاً بملابس قذرة كانوا كلهم من قرية فرانسيسكو يعملون معاً في مزرعة دوج ويقيمون في نفس المعسكر. هم يعرفون علائلات بعضهم في وطنهم ويعتنون ببعضهم البعض هنا. أكبرهم سناً كان في الثالثة والأربعين واصغرهم في الخامسة عشرة وجميعهم مهاجرون غير شرعيون. وكلهم مصابون بالسعال ولكن أباً منهم لم يزر الطبيب وما أن اختفت الشمس خلف التلال حتى تنقص عليهم سحب من البعوض بينما هم عاجزون عن ملاحظتها من شدة الأرهاق. فهم يرقدون علي ظهورهم وجنوبهم علي الأرضية الصلبة كما لو كانت أريكلة مخملية.

طلب مني فرانسيسكو أن يريني معسكرهم. مررنا بصعوبة من فتحه في السياج إلي فجوة في السلك الشائك الصدئ ثم تسلقنا طريقاً مملوء بالأشجار العالية يشبه أحد متاهات القرون الوسطى وعندما اقتربنا من المعسكر لاحظت

وجود علب البيرة وأغلفة الطعام مبعثرة علي الأرض وصلنا فجأة إلي المسكن الأول كان قصيراً ومنخفضاً أشبه ما يكون بالخيمة كل ما وجدناه هو حقائب فضية رثة ملقاة علي الأرضية الخشبية وغير بعيد في ذلك الممر توجد مساكن أخرى صغيرة مبنية بالأخشاب ومموهة حتى يصعب اكتشافها. تنمو الأوراق والفروع مغطية طبقاتها. مالك الأرض لا يعلم ما إذا كان المهاجرون يقيمون هنا والمعسكر يصعب اكتشافه . فهولاء المهاجرون يختبؤن كالمجرمين أو أفراد فيت كونج* Voetcong .

النفايات منتشرة في كل مكان وأشار فرانسيسكو إلي مسكنه الذي كان ارتفاعه حوالي خمسة أقدام وعرضه خمسة أقدام وطوله سبعة أقدام ويشاركه سكناه رجلان آخران وهو لديه بطانية جيدة لكن عندما تمطر في الليل يصبح السقف كالبحيرة ويضطر الرجال للذهاب للعمل وهم مبتلون ثم يجففون ملابسهم في الشمس في اليوم التالي لم يعتد فرانسيسكو العيش بهذه الطريقة قبل مجيئه إلي سانديجو فقد أعتاد علي النوم في بيته علي سريره.

خلف المساكن (السقائف) تزدحم الأشجار في الممر حتى تصل إلي منطقة خالية من الأشجار حيث يوجد مقعدان قديمان موجودان عن حافة التل. كانت مشاهدة حقول الفراولة من هناك رائعة ومنازل جديدة وأضواء ممتدة علي الطريق السريع.

عدت أدراجي إلي الفندق في هذه الليلة وفكرت في حال الناس في منطقة أورانج وهي واحدة من أغني المناطق في البلاد وعائلاتها هي الأغني وهي تضم كذلك المفلسين من جراء المضاربة في البورصة والمعارضين لرفع مصروفات التعليم لأولادهم والرافضين لتسديد ديونهم التي لا يعترفون بعدالتها ويلقون باللائمة في

* فيت كونج : القوات الفيتناميه الموالية للزعيم هوش منه والتي حاربت الجيش الأمريكي في فيتنام . المترجم .

كل مشاكلهم علي المهاجرين غير الشرعيين فكرت في فرانسيسكو الذي يعتبرونه بعبع أو كبش فداء والذي يعمل عشر ساعات يومياً في واحد من أكثر الأعمال صعوبة ويبيت علي الأرض كل ليلة لعدة شهور لأجل توفير المال وإرساله إلي والديه.

لقد قيل لنا منذ سنوات أن تدعن لرغبات السوق وتعاملنا بإخلاص مع قوانين العرض والطلب لكن ما نسيناه أو جهلناه هو أن ما يؤثر فقط هو عائد السوق وأن أي قيمة بشرية أخرى تسلك نفس المسلك . إن السوق يسرب السلع أو يتركها تنساب لأسفل كالماء حتى تبلغ أدني مستوي لها اليوم لا يكمن هذا المستوي في واشنطن أو نيويورك أو سان فرانسيسكو ولكن في حقول باجا في كاليفورنيا والقري الجبلية في اكساكا وهذا المستوي هو خمسة دولارات في اليوم. لم يعبد الناس منذ الأزل إله أكثر قسوة من السوق الحرة غير المضبوطة إذ ليس هناك سبباً لأن تخفي قري الأكواخ من حول كل المدن الأمريكية إن كل هؤلاء الذين يعتبرون أنفسهم مخلصين أو متحمسين للسوق لابد أن ينظروا بعين العقل وأن يعرفوا جيداً ما يحدث في كاليفورنيا. وأن ينحوا شعاراتهم جانباً فالسوق الحرة تنشد دائماً قوة العمل الجائعة واليائسة والرخيصة فقوة العمل تعني كل شيء إلا الحرية.